الانتخابات والحالمون بالتغيير

(رؤية عربية)[*]

برغم الصخب الظاهر الذي صاحب الانتخابات البرلمانية العراقية وامتلاء الشاشات والساحات والصحف السيارة بصور وبرامج المرشحين وخطب كبار المسئولين عن كونها أهم انتخابات تُجرى بالعراق منذ العام 2003، فإن النتيجة الحقيقية لتلك الانتخابات هي ما لمسه السياسيون والمرشحون، وما سجلته أوراق المفوضية من مقاطعة الشارع للأسماء المرشحة وبرامجها وتحالفاتها، فانخفضت نسبة الاقتراع، بعدما تضاءلت الآمال في التغيير، وجرى تهدئة الحراك بتنفيذ مطالبه ظاهريا من إجراء الانتخابات مبكرا وتغيير قانون الانتخاب.

ربما كان لحراك العراقيين في أكتوبر 2019 فائدتان ظاهرتان: الأولى هي التفات العالم خاصة محيطه العربي إلى ما يعانيه العراق على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والفائدة الثانية هي إجراء انتخابات نيابية مُبْكِرة. .... لكن هاتين الفائدتين لم يظهر أثرهما بعد، ففيما عقدت قمم ثلاثية عربية بين العراق ومصر والأردن وجرى في إثرها مياه كانت راكدة منذ عقود، لكن جُل ما اتفق عليه من عقود واتفاقات وبروتوكولات لا تزال قيد الأحبار التي كتبت بها. أما الفائدة الثانية فهي إجراء انتخابات لأول مرة في العراق في غير موعدها استجابة للحراك، لكن إطالة أمدها بين الاستجابة وبين التنفيذ أعطى فرصة للتموضع وتدوير الزوايا بين الأحزاب القديمة وتحالفاتها المتغيرة وفقا للمصلحة.

جاءت الانتخابات لتؤكد ما ذهب إليه كثير من المحللين السياسيين والمتابعين عن كثب للوضع في العراق، إذ أكدت الانتخابات نظرتهم بأن لا اكتراث شعبيا لها، وأن المشاركة المتدنية دليل عن غياب الثقة.

---

[*] **والعدد تحت الطبع تتشرف مجلة قضايا سياسية باستضافة الباحث المصري الاستاذ محمد القزاز المحترم الصحفي بجريدة الاهرام القاهرية لكتابة مقالها الافتتاحي .**

أيقن العراقيون أن الانتخابات لن تقدم حلولا سريعة لهم، فهم اختبروا أربعة انتخابات على مدى ثمانية عشرة عاما، كان كل انتخابات فيها تقدم وعودا لا حصر لها، تختفي بمجرد انتهائها لتعود مع الانتخابات التي تليها، ولعل هناك ملمحا مهما يفسر ضآلة النسبة هذه المرة، إذ إن الحراك الذي ارتفعت معه الآمال بالتغيير لم يتمكن من الوصول الى مبتغاه ،أذ كان اللعب على المصالح الخاصة أكثر من التركيز على قضايا الوطن.

وعودة إلى الحراك، فبرغم أن نسبة منه حصدت مقاعد لها في المجلس الجديد، فإن تجارب مماثلة له في مصر وتونس وغيرهما ينبغي التوقف عندها، فقد جرى تدجين هذه الأصوات مرة وتخوينها أخرى وحرقها أمام شعبها ثالثة، فجاءت الانتخابات التالية خالية من تلك الأسماء وعادت القوى القديمة لمواقعها، ومن هنا فإن دراسة تلك التجارب والاستفادة منها هو الدرس الأول الذي على النواب الجدد من هذا الحراك تعلمه وتفادى الوقوع في براثن الأحزاب والتحالفات.

وأخيرا، فإن من يقول إن هذه الانتخابات سوف تغيّر وجه العراق السياسي، أو أن هذه الانتخابات مفصلية سوف تحدد مستقبل العراق، عليه أن يتأكد أن هذه الامال صاحبت كل انتخابات سابقة له، وهي تصاحب أية انتخابات في وطننا العربي غير السعيد، هدفها شد عصب الولاءات الفرعية من أجل الحصول على الصوت الانتخابي ليس إلا، فيما تغيير وجه العراق السياسي مرتبط دوما بتغيرات إقليمية وهو ما نشهد بوادر له خلال الفترة الأخيرة.

محمد القزاز